مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

ر ت م د: 1112-685x
ر ت م د إ: 2588-2236

المجلد: 15 / العدد: 02 / سبتمبر 2022
ص ص: 27 ـ 41

الاشتقاق ودوره في توجيه دلالة الألفاظ عند فخر الدين الرازي
دراسة في المحصول في أصول الفقه

Ddk Derivation and its role in directing the semantics words according to Fakhr Al-Din Al-Razi
A study of Elmahsol in Fundamentals of Jurisprudence.

كمال كباش *

جامعة محمد خيضر

بسكرة / الجزائر

Kamel.kabeche@univ-biskra.dz

تاريخ الارسال: 2021/10/18 تاريخ القبول: 2022/02/26 تاريخ النشر: 2022/09/30

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الاشتقاق في استنباط الأحكام الشرعية وتفسير القرآن الكريم بما لهذه الظاهرة اللغوية من طاقة وقدرة على رفد مفردات القرآن الكريم من المعاني الكامنة في كم محدود من الأبنية إلى رحاب السعة والشمول.

وقد جاء البحث في فصلين اثنين، تناول الأول الجانب النظري لهذه الظاهرة اللغوية و ما لها من دور فعال في استنباط الأحكام وتفسير القرآن الكريم والاستجابة لحاجيات المجتمع اللغوية، وأما الثاني فقد انتقل بهذه الظاهرة المهمة من حيز التنظير الضيق والمحدود إلى رحاب التطبيق الواسع، وذلك من خلال عرض جملة من النماذج القرآنية عند فخر الدين الرازي، ليتبين لنا وللقارئ الكريم . في ضوئها . **أثر** تلك الظاهرة في توجيه الدلالات القرآنية. ثم جاءت خاتمة البحث لتتضمن جملة من النتائج تتلوها قائمة المصادر والمراجع التي أفاد منها البحث.

الكلمات المفتاحية: الاشتقاق؛ الدلالة؛ الألفاظ.

Abstract:

This study aims to highlight the role of derivation in deriving legal rulings and interpreting the Holy Qur'an, with the capacity and ability of this

* **المؤلف المرسل.**

linguistic phenomenon to supplement the vocabulary of the Holy Qur'an from the meanings inherent in a limited number of buildings to the vastness and comprehensiveness.

The research came in two chapters, the first dealt with the theoretical aspect of this linguistic phenomenon and its effective role in devising rulings, interpreting the Holy Qur'an and responding to the linguistic needs of society. During the presentation of a number of Quranic models by Fakhr Al-Din Al-Razi, to show us and the honorable reader - in the light of them - the impact of this phenomenon in directing the Quranic connotations.

Then came the conclusion of the research to include a set of results, followed by a list of sources and references from which the research benefited.
Key words: derivation; indication; words

مقدمة:

اهتم الأصوليون إلى جانب اللغويين بالاشتقاق؛ ذلك أن القرآن الكريم بما امتاز به من قوة البناء ورسوخ الأركان يحتاج إلى قوالب لغوية شبه ثابتة ومطردة نستطيع من خلالها التعرف على أحكامه الكلية ومقاصده العامة. وهذه القوالب وإن تعددت وتنوعت فالاشتقاق أهمها؛ فبه يدرك معنى اللفظ ويعرف من خلاله مدلوله ومرماه.

وظاهرة الاشتقاق واحدة من أثر منابع العطاء والثراء اللغوي، فهو وسيلة من وسائل نمو اللغة وتطورها؛ إذ عن طريقه تواكب التطور الذي تمر به سائر اللغات في العالم من خلال ما يوفره لها من صياغة ألفاظ كثيرة لمعان متعددة ومختلفة من مادة الأصل.

والناظر في الدراسات اللغوية المتقدمة يجد أن الاشتقاق قد حظي بعناية اللغويين منذ وقت مبكر، فقد دعت الحاجة إلى معرفته مع بداية التأليف في النحو وعلوم العربية؛ لما له من ارتباط بأصول الكلمات ومعانيها وأحوال تركيبها وما سوى ذلك، كما دعت الحاجة إليه لمعرفة معاني الأسماء التي نقلها الناس عن العرب وجهلوا أصولها.[1]

وأفرده بالتأليف منذ القرن الثاني الهجري جماعة من اللغويين المتقدمين منهم: الأصمعي، قطرب، أبو الحسن الأخفش، أبو نصر الباهلي، المفضل بن سلمة، المبرد، ابن دريد، الزجاج، ابن السراج، الرماني، النحاس، ابن خالويه، وابن جني. ومن المتأخرين نذكر: محمد المبارك، الأستاذ سعيد الأفغاني، والشيخ عبد القادر المغربي.

وقد أولى فخر الدين الرازي الاشتقاق اهتمامه، سواء في محصوله أو تفسيره وجمع بين الجانبين النظري والتطبيقي، أما الأول فقد تناوله في الجزء الأول من محصوله[2] وفي الجزء الأول من الفصل الثالث من كتابه "التفسير الكبير" عند تفسيره الاستعاذة يقول

رحمه الله: اعلم أن أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ هو طريقة الاشتقاق[3] وأما الثاني فقد اعتمده كثيرا وتناوله في تفسيره من خلال علاقته بالمعنى وكذلك الصيغ ودلالتها وهذا ما سيوضحه البحث في الجانب التطبيقي.

وانطلاقا من الأهمية التي يحتلها الاشتقاق في توجيه المعنى الذي يمثل الغاية من الدراسات الأصولية واللغوية(الصوتية، الصرفية، النحوية، والمعجمية)بل قمتها جاءت هذه الدراسة قصد الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما معنى الاشتقاق اللغوي وما هي أقسامه؟
- كيف يساهم الاشتقاق في توجيه دلالة الألفاظ؟

أهمية البحث وأهداف الدراسة:

تكمن أهمية البحث في أنه يسلط الضوء على مفهوم الاشتقاق ودوره في توجيه دلالة الألفاظ عند فخر الدين الرازي، وقد اقتصرت الدراسات السابقة على كتب اللغة، ولم تبحثه في كتب أصول الفقه وخاصة كتاب المحصول في أصول الفقه للرازي الذي يعد بحق دائرة معارف في عصره. ويمكن تلخيص أهداف البحث في النقاط الآتية:

- مفهوم الاشتقاق عند الرازي.
- أقسامه عند الرازي.
- علاقته بالمعنى.

منهج الدراسة:

يتوقف اختيار المنهج المناسب للبحث على طبيعة الموضوع فالمنهج الذي تفرضه هذه الدراسة هو المنهج الوصفي، فقد تناول البحث مفهوم الاشتقاق وأقسامه عند علماء اللغة والرازي، كما تطرق إلى أهميته في توجيه المعنى عند الرازي.

1. مفهوم الاشتقاق:

أ. في اللغة:

الاشتقاق في اللغة من مادة (ش، ق، ق) على وزن فعل والمتتبع لمادة (ش، ق، ق) في المعاجم العربية يجد أن هذه الكلمة لم يطرأ على معناها المعجمي أي تغيير يذكر، فقد جاء في المعجم الوسيط للفيروز آبادي: والاشتقاق أخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام، وفي الخصومة يمينا وشمالا، وأخذ الكلمة من الكلمة.[4] وقال ابن منظور: واشتقاق الشيء:

بنيانه من المرتجل، واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يمينا وشمالا، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه[5] وورد في مقاييس اللغة لابن فارس: الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء... ويقال اشتق في الكلام في الخصومات يمينا وشمالا مع ترك القصد، كأنه يكون مرة في هذا الشق ومرة في هذا[6] وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: اشتق في الكلام والخصومة أخذ يمينا وشمالا وترك القصد، واشتق في الطريق في الفلاة مضى فيها.[7]

ب. اصطلاحـا:

وأما الاشتقاق اصطلاحا: فهو نزع لفظ من آخر، بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة.[8]

هذا ما وضعه الجرجاني من تعريف لهذه الظاهرة اللغوية في العربية. كما عرفه ابن جني في كتابه الخصائص: بأن تأخذ أصلا من الأصول فتقراه، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه.[9]

ونقل الرازي عن الميداني حده بـ: أن تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد أحدهما إلى الآخر.[10]

أما اللغويون المحدثون فقد زادوا التعريفات السابقة بعض التأصيل والتفصيل يقول سعيد الأفغاني: أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ يضيف زيادة على المعنى الأصلي، وهذه الزيادة هي سبب الاشتقاق[11] ؛أي أن الاشتقاق عند علماء العربية علم عملي تطبيقي؛ لأنه توليد لألفاظ جديدة تنمو عن طريقها اللغات وتتسع ويزداد ثراؤها في المفردات؛ فتتمكن من التعبير عن الجديد من الأفكار المستحدثة. وأما الاشتقاق عند علماء الغرب فهو أحد فروع علم اللغة التي تدرس المفردات، وينحصر مجاله في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية، يذكر فيها: من أين جاءت؟ ومتى وكيف صيغت؟ والتقلبات التي مرت بها. فهو علم تاريخي يجرد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية الوصول إليه، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع التغييرات التي أصابتها، من جهة المعنى ومن جهة الاستعمال[12].

2. أقسام الاشتقاق:

تناول اللغويون المتقدمون أنواع الاشتقاق بالدراسة، ودار الحديث عنها في مؤلفاتهم مع شيء من الاختلاف في أنواعها، إلا أن أشهرها ثلاثة هي:

أ. الاشتقاق الأصغر:

وهو نزع لفظ من آخر أصل منه بشرط اشتراكهما في المعنى والأحرف الأصول وترتيبها.[13] و يسمى هذا النوع من الاشتقاق أيضا بـ: الاشتقاق العام أو الاشتقاق الصرفي؛ لأنه الذي تتصرف الألفاظ عن طريقه ويشتق بعضها من بعض. وهذا النوع من الاشتقاق قياسي؛ إذ لا يعقل أن يسمع عن أصحاب اللغة جميع المشتقات في كل مادة من مواد اللغة، وهو أكثر أنواع الاشتقاق ورودا في اللغة وأكثرها أهمية بحيث إذا أطلق لفظ الاشتقاق دون قيد انصرف الذهن إليه.[14]

وأفراد هذا النوع عشرة: الفعل الماضي، الفعل المضارع، فعل الأمر، اسم الفاعل اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة.[15]

وقد مثل له الرازي بقوله: أما الاشتقاق الأصغر فمثل اشتقاق صيغة الماضي والمستقبل من المصدر، ومثل اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول وغيرهما.[16]

ب. الاشتقاق الكبير:

وهو الذي أولع به ابن جني وسماه في كتابه الخصائص بالاشتقاق الأكبر في باب طويل بعنوان: باب في الاشتقاق الأكبر، وعرفه بقوله: وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها، وإن تباعد شيء من ذلك عنه، رد بلطف الصنعة والتأويل له.[17]

وقد سار الرازي على خطى ابن جني؛ إذ راح يحصي الكلمات المشتقة من الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية على طريقة الخليل في معجم العين، ثم يقر أن الاشتقاق الأكبر كما يسميه هو أيضا صعب؛ لأن الكثير من التركيبات المشتقة من الرباعي والخماسي مهملة يقول: أما الاشتقاق الأكبر فرعايته صعبة، وكأنه لا يمكن رعايته إلا في الكلمات الثلاثية لأن تقاليبها لا تزيد على الستة، أما الرباعيات والخماسيات فإنها كثيرة جدا، وأكثر تلك التركيبات تكون مهملة فلا يمكن رعاية هذا النوع من الاشتقاق فيها إلا على سبيل

الندرة وأيضا الكلمات الثلاثية قلما ما يوجد فيها ما يكون جميع تقاليبها الممكنة معتبرة، بل يكون في الأكثر بعضها مستعملا وبعضها مهملا. [18]

ومع ذلك فإن ابن جني يعد مقبولا ومعتدلا حين يحاول إرجاع تقليب المادة إلى أصل ثلاثي يحمل المعنى العام لهذه المادة، إذا ما قيس بما يذهب إليه بعض المحدثين مثل: أنستاس ماري الكرملي من فكرة ثنائية الأصول، وأن المعنى العام للمادة يرتبط بأصلين اثنين فقط من مادتها.[19] و هذا ما جنح إليه الرازي في الأخير إذ يقول: ومع ذلك فإن القدر الممكن منه هو الغاية القصوى في تحقيق الكلام في المباحث اللغوية.[20] وعلى الرغم من ذلك فإن نظام التقليب فيه خلط بين الاشتقاق الأكبر وبين نظام التقليبات عند الخليل الذي كان يهدف من خلاله إلى إحصاء الكلمات، ولم يحاول هو ولا غيره من أصحاب المعاجم أن يرجعوا تقاليب المادة إلى معنى واحد.[21]

ج. الاشتقاق الأكبر:

و يسمى عند اللغويين الإبدال وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى واتفاق في الأحرف الأصلية دون ترتيبها؛ أي أنه حدث إبدال إما بالتقديم والتأخير مثل: جذب وجبذ وإما بإبدال أحد الأصوات بصوت قريب منه مثل: الصراط والسراط [22] فالحروف في المشتق هي عينها في المشتق منه، والمعنى فيهما متناسب، وإنما الفرق بينهما أن الباء في الأول بعد الذال على عكس الثاني.

وقد عقد له ابن جني بابا في كتابه الخصائص تحت عنوان: "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، فبعد حديثه عن تقارب الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية بعضها ببعض، وعن التقديم والتأخير يقول: وهذا كله والحروف واحدة غير متجاورة. لكن من وراء هذا ضرب غيره، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني. وهذا باب واسع من ذلك قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(مريم: 83)؛ أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء. وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز.[23] ويرى بعض الباحثين أن الإبدال اللغوي ما هو إلا ظاهرة صوتية تقوم على استبدال بعض الحروف ببعضها، ومرد ذلك إلى تقارب الحروف المبدلة مخرجا وصفة أو أحدهما، والخطأ في السمع، والتصحيف، واللثغة، وما إلى ذلك.[24]

وإذ نجح علم اللغة الحديث في تفسير مجموعة مثل:(جبذ ـ جذب) بظاهرة الانتقال المكاني للأصوات، حيث تتبادل الأصوات أمكنتها في الكلمة الواحدة، وهي إحدى ثلاث ظواهر في التبدلات الصوتية(التماثل، التخالف، والانتقال) فإنه يعجز عن تفسير مجموعات كثيرة مثل:(طاف ـ طفا) و(خَرْشَبَ، خَشْرَبَ، خَرْبَشَ) بهذه الظاهرة؛ لأن الانتقال المكاني بين أصوات الكلمة لا يؤدي إلى تغيير أو تحوير لمعنى الكلمة كما يفعل الاشتقاق. وإذن فإن العلاقة بين(طَافَ ـ طَفَا) هي علاقة اشتقاقية؛ لأنهما ليسا بمعنى واحد بل هما بمعنيين متقاربين خلافا للحال مع(جَبَذَ ـ جَذَبَ).[25]

د. النحت أو الاشتقاق الكبار:

هو ضرب من أضرب الاشتقاق يسهل على المتكلم النطق بكلمتين وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة. وقد عرفه فؤاد ترزي بقوله: أن ينتزع من كلمتين أو أكثر كلمة جديدة تدل على معنى ما انتزعت منه. وتكون هذه الكلمة إما اسما كالبسملة من قولك: باسم الله،أو فعلا كحمدل من قولك: الحمد لله، أو حرفا كإنما من إن وما، أو مختلطة كعَمَّا من عَنْ ومَا.[26]

و ينقسم النحت عند اللغويين إلى أربعة أقسام هي:

- النحت النسبي: وهو أن تنسب شيئا أو شخصا أو فعلا إلى اسمين مثل: عبشمي نسبة إلى عبد شمس.
- النحت الفعلي: وهو ما ينحت من الجملة دلالة على منطوقها وتحديدا لمضمونها مثل: بسمل نسبة إلى باسم الله.
- النحت الاسمي: وهو أن تنحت من كلمتين اسما مثل: جلمود من جمد وجلد.
- النحت الوصفي: وهو أن تنحت من كلمة واحدة تدل على صفة بمعناها أو أشد مثل: صبطر من ضبط وصبر للرجل الشديد.

وقد قسم الرازي الاشتقاق إلى ثلاثة أقسام: الاشتقاق الصغير والكبير ويسميه "الأكبر" والكبار، وقد فصل في النوعين الأوليين في التفسير الكبير على طريقة ابن جني واستغرق ذلك أربع صفحات. [27]

3. دور الاشتقاق في توجيه الدلالة عند الرازي:

الاشتقاق أسلوب من أساليب البيان في اللغة العربية، وطريق من طرق الدلالة فيها على المعاني، ومن ثم احتل منزلة من أرفع المنازل عند المفسرين، فبه تستنبط أسرار القرآن الكريم وتسبر أغوار معانيه، وتستخرج من بحاره لآلئها ودرها فضلا عن إبانتها عن وجوه تفرده وإشارات إعجازه.[28]

وقد أدرك صاحب المحصول والتفسير الكبير قدر الاشتقاق وعلاقته بتفسير القرآن واستنباط الأحكام حين جمع في تفسيره بين الجانب النظري والجانب التطبيقي، أما الأول فقد سبق بيانه، وأما الثاني فقد تناوله في تفسيره من خلال معالجته للقضايا الآتية:

أ. ضبط بنية الكلمة بناء على أصلها

إذا كان ضبط آخر الكلمة هو حظ المعرب فإن ضبط بنيتها و سائر حروفها هو حظ الصائغ الذي يجليها بالصورة التي تكشف عن معناها؛ ولذلك كان ضبط بنية الكلمة أسبق عمليات الضبط لما له من أهمية بالغة في فهم معناها ومعرفة الفروق بينها وبين شبيهاتها في الرسم، فلو تأملنا مثلا هذا الرسم (تبت) لوجدنه يحتاج إلى ضبط حروفه كلها حتى يعرف المراد منه، فلو كان الضبط هكذا (تُبْتُ) فهو فعل دال على التوبة الواقعة في الماضي من مفرد يتكلم عن نفسه. ولو كان الضبط هكذا (تَبَّتْ) فهو فعل دال على التباب ـ وهو الهلاك ـ الواقع في الماضي أو المدعو بوقوعه على مفرد مؤنث غائب متكلم عنه.

ومن المعروف أن هذا الرسم بضبطيه الأوليين قد وقع في القرآن الكريم أما الأول في قوله تعالى:﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: 18) وأما الثاني في قوله تعالى:﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(المسد: 1)

ومن ثم يعرف أهمية ضبط بنية الكلمة في الدلالة على معناها[29]، وكذلك طريق الفخر الرازي في الكشف عن المعاني التي تحملها الألفاظ القرآنية، فقد استعان على ضبط بنية الكلمة بالتأمل في أصلها الاشتقاقي، ويستجمع ما توفر لديه من أقوال وأراء وهمه في ذلك رصد المعاني الصحيحة والمراد من التعبير القرآني قدر الإمكان، ومن أمثلة ذلك:

- كلمة "**غِشَاوَة**" في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(البقرة: 7) ففي كلمة "الغشاوة" يأتي بوزنها الذي هو (فِعَالَة)

بكسر الفاء، وهذه طريقة في ضبط بنية الكلمة إذ يأتي بوزنها دالا على أمرين: أحدهما معرفة معناها اللغوي وهو الغطاء، فالغشاوة مأخوذة من غَشَّاهُ وهو الغطاء، وثانيهما: وضع قاعدة استقرائية مؤداها أن كل ما يصاغ على وزن "فِعَالَة" بكسر الفاء له معنى الاشتمال على شيء، مثل العمامة والعلاوة واللفافة والعصابة[30]، فكل ما جاء على وزن "فِعَالَة" فيه معنى الاشتمال على الشيء بما في ذلك أسماء الحرف و الصناعات وهذا ما قرره الأزهري في تهذيبه إذ يقول: وكل ما كان مشتملا على الشيء، فهو مبني على فعالة نحو: الغشاوة والعمامة والعصابة وكذلك أسماء الصناعات لاشتمال الصناعة على كل ما فيها نحو: االخياطة والقصارة[31]

وهذه القاعدة الصرفية ليست بحديثة عند الرازي بل سبقه إليها الزمخشري في تفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وُجُوه التأويل"[32] و ابن عطية في تفسيره " المُحَرَّرُ الوَجِيز. في تفسير الكتاب العزيز"[33] وأشار إليها من المتأخرين ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"، فقال في معنى "الغشاوة": والغشاوة فِعَالَة من غَشَّاهُ وتَغَشَّاهُ إذا حجبه وممَّا له فِعَالَة بكسر الفاء معنى الاشتمال على شيء مثل الْعِمَامَةِ والْعِلَاوَةِ واللِّفَافَةِ. وقد قيل: إن صوغ هذه الزِّنَةِ للصناعات كالخياطة لما فيها من معنى الاشتمال المجازي [34]

- كلمة "**الطاغوت**" في قوله تعالى:﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: 256) ففي هذه الكلمة لم يقصر الرازي اهتمامه على مجرد ضبط الصيغة بل راح يتتبع كيفية هذا الضبط و مراحله والتغيرات التي طرأت على اللفظة في مراحل صياغتها بناء على القوانين الصوتية والصرفية التي أثرت عن العرب في الصيغ، وهذا التتبع يدل على دقة الملاحظة في الإجابة عن السؤال الذي قد يطرح حول العلاقة بين ضبط الكلمة وضبط الجمع وهيئة كل واحد منهما، وتعد كلمة (طاغوت) أقرب مثال للتعامل مع تحولات البنية إذ جمع فيها بين المعالجة الصرفية والدلالية:

- فوزن (الطاغوت) فعلوت نحو: (جبروت) والتاء زائدة وهي مشتقة من (طغا) وتقديره: (طغووت)[35]
- ثم وقع فيها قلب مكاني بين عين الفعل ولامه، إلا أن لام الفعل قلبت إلى موضع العين كعادتهم في القلب نحو: الصَّاقِعَةِ والصَّاعِقَةُ[36]

- ثم قلبت الواو ألفا لوقوعها في موضع حركة وانفتاح ما قبلها للتخفيف [37]

وينقل الرازي عن أبي علي الفارسي أن كلمة (الطاغوت) مصدر خلافا للمبرد الذي زعم أن كلمة (طاغوت) جمع، قال أبو علي الفارسي: وليس الأمر عندنا كذلك؛ وذلك لأن (الطاغوت) مصدر كـ (الرغبوت والرهبوت والملكوت) فكما أن هذه الأسماء آحاد كذلك هذا الاسم مفرد وليس بجمع، ومما يدل على أنه مصدر مفرد قوله تعالى:﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:256) فأفرد في موضع الجمع كما يقال: (هم رضاهم عدل). قالوا: وهذا الجمع للفظ يقع على الواحد وعلى الجمع أما الواحد فكما في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(النساء: 60)، وأما الجمع فكما في قوله تعالى:﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة: 257)[38]

ب. دلالـة الصيـغ:

اهتم علماء الصرف بالصيغة وأنواعها اهتماما بالغا، سواء كانت فعلية أو اسمية فوضعوا الميزان الصرفي ليعرف الأصلي من الزائد وتتبين صيغة الكلمة، وهذا ما جعل سيبويه يبوبه تحت عنوان: "باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجئْ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل"[39] واختلاف المعاني يوجب اختلاف المباني، يقول السامرائي: فلا شك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة إذ كل عُدُولٍ عن صيغة إلى أخرى لابد أن يَصْحَبَهُ عُدُولٌ في معنى إلى آخر إلا إذا كان ذلك لغة.[40]

ولم يكن صاحب المحصول والتفسير الكبير بمعزل عن هذه القناعة العامة لدى الصرفيين والمفسرين بدلالة الصيغة، فقد توقف عند كثير من الصيغ في تفسيره، مبينا اختيار هذه الصيغة دون الأخرى من خلال السياق الذي ترد فيه ومن أمثلة هذه الصيغ:

- **صيغة التضعيف "فَعَّلَ":** المشهور عند علماء البلاغة أن صيغة التضعيف دائرة بين المبالغة والتعدية، وقد ذكر الرازي دلالة التكثير والتعدية في صيغة (فَعَّلَ) أثناء تفسيره

لقوله تعالى:﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: 23) فقال: "إن التعدية بالألف للدلالة على الشِّدَّةِ والإحكام، ثم عزى دلالة (غَلَّقَ) بأنها تفيد التكثير عند المفسرين، ثم يعدى بالألف فيقال: أَغْلَقَ الباب إذا جعله بحيث يَعْسُرُ فتحه، قال المفسرون: وإنما جاء غَلَّقَتِ على التكثير؛ لأنها غلقت سبعة أبواب ثم دعته إلى نفسها"[41]

ج. الفـــروق الدلاليـــة:

إن الحديث عن الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة في المعنى بناء على أصولها الاشتقاقية باب واسع في العربية، تظهر من خلاله مقدرة اللغوي وتصرفه البليغ، ولا يحسنه كل أحد من المتكلمين، بل لا يقوى على مراسه كل أحد من أرباب القول العَالِمِين بتصاريفه، والحديث هنا يتعلق بجزئية مهمة، هي افتراق المعاني نتيجة لفروق اشتقاقية لألفاظها، وقد فرق السيوطي بين الخوف والخشية على أساس اشتقاقي إذ "الْخَشْيَةُ " مأخوذة من قولهم شجرة خَشَيَّة؛ أي يابسة وهو فوات بالكلية. و"الْخَوْفُ" من ناقة خَوْفَاء؛ أي بها داء وهو نقص وليس بفوات" [42]

ولعل صاحب المحصول والتفسير الكبير وجد في دلالات القرآن الكريم مجالا خصبا لممارسة حسه البلاغي وأدار مع بعض الألفاظ حوارا دلاليا حول دور أصلها الاشتقاقي في تمييزها عن بعض مرادفاتها، ومن هذه الألفاظ:

- **لفظتي (الْخَلْقِ) و(الْجَعْلِ)** في قوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(الأنعام:1) فبعد ما ذكر الدلالة النحوية للفعل "جَعَلَ" الذي يأخذ معنى الحَدَثِ والإنْشَاءِ إذا تعدى إلى مفعول واحد ومعنى صَيَّرَ إذا تعدى إلى مفعولين، مستدلا على ذلك من القرآن الكريم، يقول الرازي: لفظ "جَعَلَ" يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أَحْدَثَ وأَنْشَأَ، كقوله تعالى:﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾(الأنعام: 1)، وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صيَّر كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ (الزخرف: 19).

والفرق بين (الْخَلْقِ) و(الْجَعْلِ) أن الخلق فيه معنى التَّقْدِيرِ وفي الجعل معنى التَّضْمِينِ والتَّصْيِيرِ كإنشاء شيء من شيء وتصيير شيء شيئا، قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(الأعراف: 189)، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(الرعد: 38) وقوله تعالى:﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾(ص: 5) وإنما حسن لفظ الجعل ها هنا؛ لأن النور والظلمة لمَّا تعاقبا صارا كأنَّ كل واحد منهما تَوَلَّدَ من الآخر.[43]

4. النتائـج والتوصيـات:

وختاما؛ من نافلة القول أن أُقيِّد طائفة من النتائج فأقول:

مما لا شك فيه أن الرازي من الأصوليين والمفسرين الأوائل الذين استثمروا الاشتقاق في تحديد دلالة الألفاظ، وشواهد هذا كثيرة، ولعل أبرزها الدراسة النظرية لمفهوم الاشتقاق، وأحكامه، وأنواعه مع ضرب الأمثلة في الجزء الأول من محصوله في الباب الثالث "في الأسماء المشتقة"، وفي مقدمة تفسيره "الجزء الأول، الفصل الثالث الباب الأول: "في المباحث المتعلقة بالكلمة، وما يجري مجراها" وقد استغرق ذلك أربع صفحات.

أما الجانب التطبيقي لهذه الظاهرة فقد اعتمده الرازي كثيرا في تفسيره، وذلك من خلال اهتمامه ببيان المعاني المعجمية للألفاظ، واكتشاف العلاقات الدلالية بينها من جوانب متعددة، كضبط بنية الكلمة بناء على أصلها ودلالة الصيغة والفروق الدلالية من أجل الوصول إلى المعنى الدقيق للفظة القرآنية؛ باعتبارها أصغر وحدة لغوية تشكل الجملة، وباعتبار ما تحمله من طاقة تعبيرية في دلالة الجملة، ومن ثم بناء النص وفهمه.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى العناية بهذه الظاهرة في جميع المسائل الشرعية وإفراد كل مسألة ببحث يجمع بين النظري والتطبيق؛ خدمةً للنصوص الشرعية وتحقيقًا لمصالح المكلفين.

5. قائمـة المصـادر و المراجـع :

- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 2، 1979
- أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، ط2 ، 1999
- إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1982
- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 6، 1999
- سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 1987

- عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط 2، 1952
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان، بيروت، لبنان، 1983
- عَمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1982
- فاضل صالح السمارائي، معاني الأبنية، دار عمار، عمان، الأردن، ط 2، 2007
- محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2009، د ط
- محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط 4، 1969
- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984
- محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2001
- محمد بن عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422 ه
- محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981
- محمد بن عمر الرازي، المحصول في أصول الفقه، ج 1، تحقيق: جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الرياض، السعودية، ط 3، 1997، ص ص 237 – 251
- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج 10، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 221
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط 1، 2014
- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تعليق: خليل مأمون شيْحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2009
- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998
- مشرف بن أحمد الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور، مؤسسة الريان، ط 1، بيروت، لبنان، 2009

6. التهميش والاقتباس:

(1) أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، ط 2 ، 1999، ص 202

(2) محمد بن عمر الرازي، المحصول في أصول الفقه، ج 1 ، تحقيق: جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الرياض، السعودية، ط 3 ، 1997 ، ص ص 237 – 251

(3) الرازي، التفسير الكبير، ج 1 ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 ، 1981، ص 21

(4) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط 1 ، 2014 ، ص 839

(5) **محمد بن مكرّم بن منظور، لسان العرب، ج 10 ، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، 2003 ، ص 221**

(6) **أحمد** بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3 ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، بيروت، لبنان، ط 2 ، 1979 ، ص ص 180 – 181

(7) محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ج 1 ، تحقيق: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1998 ، ص 516

(8) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان، بيروت، لبنان، 1983، ص 43

(9) عثمان بن جني، الخصائص، ج 2 ، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط 2 ، 1952 ، ص 134

(10) الرازي، المحصول في أصول الفقه، ج 1 ، ص 237

(11) سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، 1987 ، ص 130

(12) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 6 ، 1999 ، ص 290

(13) إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1 ، 1982 ، ص 188

(14) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 298

(15) سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص 131

(16) الرازي، التفسير الكبير، ج 1 ، ص 21

(17) ابن جني، الخصائص، ج 2 ، ص 134

(18) الرازي، التفسير الكبير، ج 1 ص 22

(19) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 298

(20) الرازي، التفسير الكبير، ج 1 ص 22

(21) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص ص 296 ـ 297

(22) محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط 4 ، 1969، ص 332

(23) ابن جني، الخصائص، ج 2 ، 147

(24) محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، لبنان ، 2009 ، د ط ، ص 257

(25) محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، ص ص: 333 – 334

(26) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 302

(27) الرازي، التفسير الكبير، ج 1 ، ص ص 21 – 25

(28) مشرف بن أحمد الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور، مؤسسة الريان، ط 1 ، بيروت، لبنان، 2009 ، ص 55

(29) المصدر نفسه، ص 437

(30) الرازي، التفسير الكبير، ج 2 ، ص 57

(31) محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة، ج 8 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1 ، 2001 ،ص 145

(32) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تعليق: خليل مأمون شيْحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2 ، 2009 ، ص 41

(33) محمد بن عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1 ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1422 هـ، ص 89

(34) محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1 ، الدار التونسية للنشر، د ط ، 1984 ، ص 254

(35) الرازي، التفسير الكبير، ج 7 ، ص 16

(36) المصدر نفسه

(37) المصدر نفسه

(38) المصدر نفسه ، ص ص 16 – 17

(39) عَمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) ، الكتاب، ج 4 ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر ، ط 2 ، 1982 ، ص 242

(40) فاضل صالح السمارائي، معاني الأبنية، دار عمار، عمان، الأردن، ط 2 ، 2007 ، ص 6

(41) الرازي ، التفسير الكبير، ج 18 ، ص 115

(42) مشرف بن أحمد الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور، ص 452

(43) الرازي، التفسير الكبير، ج 12 ، 159